بسم الله الرحمن الرحيم

ربط الدين بالدولة فى أمريكا

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ــ وبعــد :

فان ربط الدين بالحياة فى مجتمعات المسلمين أمر يتمناه كل غيور على دينه ... الا أن بعض المسلمين فى عصرنا هــذا ما زالوا غير مقتنعين بذلك . فهم يعترضون على هذا الربط ويحرضون على أن يكون الدين فى ناحية والحياة فى ناحية أخرى ظنا منهم أن الدين يعرقل تقدم الحياة أو يعترض طريق تطورها مدنيا وحضاريا .. حتى أصبح هذا الفكر يمثل اتجاها واضحا فى مجتمعات المسلمين . بل ان المسلم فى بعض بــلاد الاسلام كان يخشى فى وقت من الأوقات أن يعلن تمسكه بدينه حتى لا يبطش به .

واذا كان الاسلام ينظم حياة الناس عقيدة وسلوكا .. بمعنى أنه لا يكتفى بتنظيم العلاقة بين الناس وخالقهم جل وعلا .. وانما ينظم ــ كذلك ــ علاقات الناس بعضهم ببعض فى كل نواحى الحياة .. لذلك كانت مسألة الفصل بين الدين والحياة غريبة عن الاسلام كل الغرابة .

والحقيقة التاريخية التى نعرفها أن عزل الدين عن الحياة تم فى أوروبا فى القرون الوسطى حين شرعت الكنيسة نظما ما أنزل الله بها من سلطان ، وأخذت تبدل وتغير وتحرف وتضيف ما تشاؤه الأهواء

الى عقائد النصارى .. وكانوا يبيعون الجنـــة بالوثائق التى كانت تسمى صكوك الغفران ، ويمنحون شهادت النجاة من النار ، ويأذنون باتبان بعض المحرمات والمحظورات ..

ولم يقف الأمر عند هـــذا الحد وانما دخلت الكنيسة فى نزاع طويل مع الملوك والأباطرة .. لا على الدين والأخلاق ولكن على السلطة والنفوذ .. وقد بدأ ذلك النزاع على وجه التحديد فى القرن الحادى عشر الميلادى ..

أضف الى ذلك ما فرضته الكنيسة لنفسها من سلطان على الجماهير استغلته أبشع استغلال فى فرض الاتاوات المالية الباهظة التى تجبى اليها مباشرة حتى استغل الحكام الساخطون هذا الضغط العام على الجماهير ليثيروا السخط على الكنيسة ..

أضف الى ذلك أيضا أن الكنيسة قـــد أعطت نفسها حق فهم « الكتاب المقدس » وتفسيره ، وحظرت على أى عقل من خـــارج « الكهنوت » أن يحاول فهمه وتفسيره . ثم أتبعت ذلك بادخال أمور فى العقيدة لا سبيل الى ادراكها أو تصورها ، وربطت ذلك بالشعائر التعبدية ..

وكـــان من أخطائهم أن أدخلوا فى كتبهم بعض علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ التى كانت تتناقلها الألسن واشتهرت بين الناس وصبغوها صبغة دينية وعدوها من تعاليم الدين وأصوله التى يجب الايمان بها .. فما كان من علماء الطبيعة والعلوم الا أن بينوا زيف هذه النظريات وبطلانها . فقامت قيامة الكنيسة وحكمت على هؤلاء العلماء بكفرهم واعتبرتهم ملحدين وزنادقة واستحلت دماءهم . وبذلت

جهدا جبارا فى أن لا تدع عرقا نابضا ضد الكنيسة • فكانت المذابح التى راح ضحيتها مئات الآلاف •

وكان ذلك العنف الفظيع من الكنيسة سببا فى ثورة العلماء الذين كرهوا كل ما يتصل بالكنيسة لأنهم رأوا أن هذا الدين يتعارض مع العلم الذى يتوصلون اليه ، فقامت الكراهية بين العلم والدين بصفة عامة دون أن يحاولوا البحث عن حقيقة الدين وجوهره ليفرقوا بينه وبين استبداد الكنيسة وسوء تمثيلها للدين •

من هنا •• كان الفصل بين الدين والحياة •• تم فى أوروبا فى القرون الوسطى ويردده الآن ــ مع الأسف ــ بعض الزعماء والمفكرين فى العالم الاسلامى •

* * *

وبعد هذا الاستطراد الطويل أقول انه من المخجل أن ينادى بعض مفكرينا وزعمائنا بفصل الدين عن الحياة بينما نجد الرئيس ريجان يدعو الى العودة الى الدين وربطه بالحياة • فقد خاض حملته الانتخابية رافعا الانجيل قائلا بالحرف الواحد « ان فى هذ االكتاب حل كل مشاكل البشرية» كما أنه أعلن أيضا أن كيندى كان على قمة القائلين بفصل الدين عن الدولة لأنه كان أول رئيس كاثوليكى لشعب أغلبيته من البروتستانت ، وأنه آن الأوان لالغاء هذا الفصل واعادة الدين الى الدولة •

لقد طالب ريجان فى حملته الانتخابية أن يعود تدريس الدين فى المدارس ، ودعا الى الالتزام بالأخلاق الفاضلة ومقاومة الانحلال والفساد وربط الدولة بالدين حتى كان ذلك سببا فى هجوم الصهيونية

عليه • فقد جاءت أكبر جريدتين فى أمريكا (نيويورك تايمز وواشنطن بوست) ــ ويملكهما يهود ــ وأعلنتا تأييدهما لموندیل الــذى كان مرشحا للرئاسة الأمريكية ضد ريجان • كما هاجمته الجماعات اليهودية المتطرفة داخل الولايات المتحدة حيث زعمت صراحة أن دعوته للرجوع الى الدين ستؤلب الشعب المسيحى الأمريكى علــى الديانة اليهودية وستؤدى الى عزل اليهود (ونسبتهم فى أمريكا لا تتجاوز ٣ ٪)

* * *

أعود مرة أخرى فأقول للذين ينادون بفصل الدين عن الدولة فى مجتمعات المسلمين : ان الاسلام ليس مجرد عقيدة وجدانية منعزلة عن واقع الحياة البشرية ، وليس مجرد شعائر تعبدية يؤديها المؤمنون بهذا الدين ، وليس مجرد طريق الى الآخرة وحدها ••• وانما الاسلام ــ بالاضافة لهذا كله ــ يتدخل فى نظام الحياة الدنيا ويهيمن هيمنة كاملة على نشاط البشر فى كل مجالات هذه الحياة •

وان كل محاولة لعزل الدين عن الحياة تعتبر محاولة للقضاء على الاسلام • بينما صبغ المجتمع بالصبغة الاسلامية يحمل الخير والسلام لهذا المجتمع ، لأن منهج الاسلام هــو المنهج الوحيد الذى ارتضاه ربنا تبارك وتعالى لتساس به حياة البشر •• وهو المنهج الذى جعله الله تعالى صالحا لكل زمان ومكان الى أن يرث الله الأرض ومن عليها • فاعتبروا يا أولى الأبصار •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

نفحات قرآن

بقلم بخاري أحمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ــ

« يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون • أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون• شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى ، والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا ، أو على سفر ، فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون »•

ذهب رمضان الشهر ، ولكن بقيت النفوس المحمومة التى تتقلب فى رمضاء (١) حياة قفرة عجفاء (٢) بقيت نفوس لهفى (٣) (بتسكين الهاء ، وفتح الفاء) تعوزهاالسكينة والعزة ، والوئام ، والصحة النفسية ، ويئودها الجحود والجمود ، والغلظة ، والامعية ، والتبعية الذليلة .

وظنى أن الارتباط الطويل بآلاء الصيام ، وأشفية القرآن ، ورضاب (٤) الحكمة ، ونفحات السماء يوفر لتلك النفوس الرمضة (بتشديد الراء وكسر الميم . اى المحترقة) فرص الصحوة ، والنخوة ، والانبعاث ، ويهيىء لها أن ترشد وتعى ، وتستأنف المسيرة على هدى ، وبصيرة .

فلا ملامة اذا تشبثنا بهذه الآيات، نحتلب درها ، ونحيا برها ، ونستمطر فيضها عسى أن يساقط

---

(١) الرمضاء القيظ الشديد .
(٢) حسيرة تستغيث .
(٣) ذهب خيرها
(٤) الرضاب الشهد

(بتشديد السين المفتوحة) غدقا (١) فوق أجداث (٢) رمت فينبت ما فيها من هشيم كما تنبت الحبة فى حميل السيل (٣)

فوق أننا — اذ نظل مشتملين بآيات الصيام متلبسين بأرواحها — نظل نجتر أمجاد الشهر ، ونستحضر طلاوته وحلاوته ، ونعيش أجواءه العبقة نغالب بها عفن الواقع ، وضراوة الأيام .

الفضاء القرآنى

والفضاء القرآنى كالفضاء الكونى . هذا لا يدرك مداه . وذاك لا تنقضى عجائبه . مصداق ما اثر عن رسول الله . وكلاهما يأسر ، ويدهش ، ويثير باعجازه مشاعر العجز ، والضآلة فى هذا الانسان . وكلاهما ينفتح كل يوم عن آفاق جديدة تهدى ، وتربى (بضم التاء وتسكين الراء) حقيقة الايمان .

ولقد سبحنا سبحا طويلا فى الفضاء القرآنى المهيب ، مقتفين هدى آيات تزخر بالحياة ، وتبث من اضواء الحرية ، والشمم ما تبث . واستقامت اشارات القرآن اللطيفة الى مدارج التحرير وأسباب الخلاص ، والى مقومات الشخصية الاسلامية المستقلة — استقامت معالم بل مفاعلات بناءة تتوهج رشيدة وكأنها أطواق النجاة تطفو فوق العباب ، وتتراءى لأبصار غرقى لاهثين يعانون ذل المتربة ، وحر المسغبة . وحقارة الأذناب ، وضغط القيود ، وأغلال الجمود .

وأطللنا من الفضاء القرآنى على عالم المسلمين فأطلنا الاطلالة . ورصدنا — متأثرين بما نعانى من جوى ، وقهر — ما كان — كما هو كائن اليوم — من فراغ وجدانى ، ومن غزو فكرى ، ومن استثمار خسيس لمشاعر الجهالة ، وعقد التخلف ، والنقص .

وأطللنا فراينا يد الاسلام الآسية تسل سخيمة الصدور ، وتمحو علل الهوى ، والشهوة ، والمادانية العمياء ، وكل الآفات التى يبذر بذورها الشيطان ، ويصلى نارها الحمقى .

تنطع وتصدع

وأطللنا — متأثرين بما نعانى — فراينا عينا حمئة ، آسنة يعمرها قوم لا يكادون يفقهون قولا داؤهم التنطع ، ودأبهم التحجر ، وطابعهم الجمود الذى يورث الشلل ، ويشى بالفراغ الرهيب . لا يسمنون ، ولا يغنون ، تحسبهم أيقاظا وهم رقود ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، ترودهم الرؤى ، وتلفهم أغشية تحجب عنهم

---

(١) غزيرا .
(٢) الأجداث القبور والمراد من فيها
(٣) حميل السيل : ما فيه من طين ونحوه مما يساعد على الانبات .

يسر الاسلام ، ورفقه ، وسماحته ، وقدرته على التطوير ، والاظهار. وحول العين الحمئة (١) ، حيث تغرب الشمس رأينا تيوسا جاحدة تعربد ، وتنب ، حشى أديمها بالجذع والمغالطات ، والمقت الشديد للنور، ثم اطلقت لتعيث وتفسد ، ودارت حول أمعائها كما يدور الحمار بالرحى ، لا يفطن الى أنه معلق ، ولا يدرك أن زمامه فى يد غيره .

واولئك ، وهؤلاء ذوو حس متبلد صفيق (.. لهم قلوب لا يعقلون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ..) فأنى لهم أن يحسوا بمثل الاسلام ، وقيمه ، وشأوه الرفيع ؟

انى لأمثال هؤلاء المطوبين فى لفائف الجمود ، واولئك المستهتكين (٢) المنتشين بعرى (بضم العين واسكان الراء) الجحود أن يدركوا :—

١ — أن المؤمن اذا امتلأ فراغه بالايمان استقام على الطريقة ، وسكن .

٢ — وانه اذا داوى علل عالم الشهادة بأشفية من عالم الغيب صح ، واتزن (بتشديد التاء المفتوحة) .

٣ — وانه اذا عالج سعار المادانية بترياق الروحانية سلم ، وأمن .

٤ — واذا تعاهد وعورة النفس ببلسم السماحة وسائر صفات الجمال طاب ، وغنم .

٥ — واذا سالت أوديته بقدرها فلم يغل (باسكان الغين وضم اللام)، ولم يتقعر ، وغدا ، وراح رحب الشمائل فضفاض الرداء رضى ، وأرضى ، ونزل سهلا ، وحل فى كل مكان أهلا .

٦ — وانه اذا جمد نبذ ، واذ ركد أسن ، وتعفن ، واذا اشتمل بعقده اشتمال الصماء افتقد مرونة المسلم، وتخلف ، وبات على الصورة التى جاءت فى حديث « أم زرع » (٣) على لسان الزوجة الأولى التى وصفت زوجها بأنه : — (لحم جمل غث ، على رأس جبل ، لا سهل فيرتقى ، ولا سمين فينتقل ...)

٧ — وأن الاسلام يحرك ، ويحرر ، ويكر على الأغلال النفسية، وغير النفسية ينقضها ويحطمها حلقة، حلقة ، وعروة ، عروة ، ويتيح — بهذا — للمسلم أن يخمل غيره ، ويسبق عصره .

٨ — وأن الخلال السمحة التى الزمنا بها الاسلام هى قوام الحرية ،

---

(١) ذات طين أسود .
(٢) لا يبالى أن يهتك ستره .
(٣) حديث صحيح تناول مؤتمراً نسائيا تحدثت فيه الزوجات عن أزواجهن بصراحة .

وهى المركب الميمون الى سدة (بضم السين وتشديد الدال المفتوحة ، أى البـــاب) التقـــارب ، والتكامل ، والوفاق . وهذه الصفات تعد من دعائم المجتمع الاســـلامى المنيع . وهى ، ومثيلاتها من رفق ، ويسر ، وحلم وليدة الأنفس الأبية ، السوية التى طهرت من أحاسيس الهوان ، وعقد النقص .

ان انسانية المســـلم تصقلها ، وتجلوها هـــذه الخـــلال . وأصالة المجتمع المســـلم ترسخ وتتأكد اذا اعتمد البناء على لبنات مسلمة قوامها تلك الخلال .

قداسة الزمان

والاســـلام بكل شعائره يستهدف فيما يستهدف تنمية المعنويات العليا فى الانســـان ، ثم يحرص على أن « يعسكر » بالمسلم فى أوقات ومواسم خاصة حتى تبقى لياقتـــه ، وتنمو قدراته على مغالبة ما ركب فيـــه من لدد ولجاج ، وهووية ، وأنانية ، وهلع ، وطغيان .... الخ فما أحراه بعد هذا أن يغزو كل أشهر العام بمعطيات شهر رمضان ، وأن ينفق فيها مما اكتسب فى رمضان .

والحق أن الاسلام ميز أزمنة ، وفضل أياما ، وكرم أشهرا ، وحرم أخرى .

الا أن فيض هذه الأوقات المختارة فيض متعد غـــير لازم . بمعنى أن الأيام التى اجتبيت ، وخصت بمزيد فضل تبث خيرها ، وتمد شعاعها ، وتشحن بسناها القلوب الملتزمة ، وتفيض هذه القلوب بدورها فتملأ بنورها الأرجاء ، وتعم بأريجها كل الأزمنة ، فكأن الأوقات التى ميزها الاســـلام محطات تقويـــة لكهربية الايمان ، وفاعلية الخير ، وديمومة الاخلاص ، والاحسان ، والأخوة . وهذه الأوقات المميزة لا تلد هـــذه الخلال ، ولا تصدرها اصدار قرص الشمس للحرارة ، والضوء ، ولكنها مستودع ، ومستقر . والمولى جل وعلا اقتضت حكمته أن يصدر الينا أمره السامى الكريم بأن تقفوا أمام هذه المقدسات ـــ الزمانية أو المكانية ـــ وامتزجوا بها حتى يحدث تفاعل مهيب بينكم وبينها . ومصدر هذه القوة المفاعلة امتثال أمـــر الله ، وتعظيم محـــارم الله ، وتقـــديس شعائر الله ، والقبول ، والرضى ـــ بلا أدنى شك ـــ بحكم الله ، والوقوف ـــ بلا عدوان ـــ عند المعالم التى رفعها الله .

وثمرة هذا التفاعل أن يدعم المولى هذه الوقفات ، وأن يباركها ، ويربيها حتى تغدو سحاحة ضخاخة ، فياضة ، وأن يوفق هذا الانسان المبارك الى أن يشحن هذه الأوعية بالخير .

وهكذا نعلم أن هـــذه المقدسات تأخذ من الانسان ، وتعطيه ، لتأخذ منه المزيد ، ثم تعطيه أزيد وأزيد على مدار العام كله ، والعمر كله .

أما اذا جفا الانسان ، وقلا ، وانفك فلم يندمج ، ولم ينفعل ، أو اكتفى بعلاقات شكلية جوفاء أو ملأ تلك الأوقات بأشياء مبتدعة ، أو منكرة ... الخ اذن لنضب المعين ، وانقطع التيار ، وجف الضرع الثرار، ورفعت البركة التى يتفضل بها الله .

وآثار الانتفاع بخير هذه الأوقات تتجلى وئاما ، والتئاما ، وجمعا للكلمة ، ووحدة فى الصف ، وتقديسا للهدف ، واستعمالا للحكمة ، وفقها للسنن ، وموجبات التطور .

فاذا انتفت هذه الخلال وحل محلها التنافر ، والتدابر ، والغلظة ، والشقاق ، وعشق الذات ، والتزمت الخ ... فان لنا أن نوقن بأن هناك انفصاما بين العقيدة والسلوك ، وأن الارتباط بالمقدسات ارتباط شكلى ، وأن دعوى الالتزام يكذبها الواقع ، ويعوزها الدليل .. مهما ضخمت العمامة ، أو عظمت اللحية ، أو طابت الخطبة ، أو خلبت القراءة ، أو حسن السمت ، أو قصر اللباس .

ان الاسلام مخبر ومظهر . والشكليات المحضة تحيل أصحابها الى دمى (جمع دمية) وتورث النفاق وتشى بالعته ، والفراغ .

وقداسة المكان

كذلك اصطفى الله أراضى وأمكنة، وأضفى عليها من القداسة ، والجلال ما أضفى ، وأمر أن نتخذها مشاعر ومناسك ، ومزارات . وهذه المشاعر لا تنضح قداسة ، ولا تشع جلالا ، ولكنها تثير المشاعر ، وتشبع الأرواح، وتسبى القلوب المؤمنة المذعنة المؤتمرة بأوامر الله ، الممتلئة خشية، ورغبة ، وطاعة ، وحبا ، وايثارا لما عند الله .

وعند الممارسة ، والاتصال بهذه المقامات يتم تفاعل لا يدرك كنهه بين المشاعر ، وبين الآمين ، الناسكين ، وتتفتح فى الطائفين ، والعاكفين ، والركع السجود آفاق ، وتتحرك أسرار ، وتزكو أشواق ، وتتدفق معانى الاجلال ، والهيبة ، والروحانية من تلك النفوس المؤمنة المشوقة لتلتبس بهذه المشاهد ، وتلتحم ، ويختلط المنبع بالمصب . فالقشعريرة التى يحسها العاكف تنبعث من ذاته .. من نفسه المؤمنة الخاشعة التى تهيأت لتكون أداة حساسة تستقبل وترسل . (... تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ...) والمعانى التى فى تلك المقامات بتأثير ذلك الاتصال يباركها المولى ، ويربيها حتى تغدو زادا مباركا يمتد خيره لكل مكان (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) .

ان الأزمنة التى آثرها الاسلام ، والأمكنة التى قدسها الاسلام وخصها بالشرف ، والرفعة .. هى فى الحقيقة طاقات بث ، بل شواحن تدور ،

أو تـــؤم (١) (بالبناء للمجهول اى تقصد) فتفرغ من حمولاتها فى القلوب لتزكو بها ، ولتحصن — منها — (٢) ذخرا للأيام ، وتنشر — منهـــا — اغاثـــة للأنام . فهى اذ تتراءى ، لا تتراءى ضنينة ، وهى اذ تغيب لا تغيب موعية (٣) ممسكة .. بل تنفح ، ولا تستبقى ، وترسل دائما سحائبها مثارة لتنتظم الأرجـــاء ، والآناء (٤) .

والانسان المؤمن الذى جلا الايمان شغاف قلبه هو الذى يستوعب كل هـــذه النفحات ثم ينشرها ، ويغمر بها العباد ، والبلاد .

فاذا جمد المسلم ، وغلظت قشرته أضحى مصمتا (٥) ، مختنق المسام ، ردىء التوصيل . واذا ماع ، وتسيب تسيب الكثيب الهيـــل (٦) افتقـــد التماسك ، وعجز عن الفاعليـــة ، والتأثير .

ومن هنا وجب أن يكون المؤمن سريع التكيف ، مرنا مصداق الحديث (مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تميلها الريح تارة ، وتعدلها أخرى ..)

ووجب أن يكـــون هينا ، لينا ، مصداق الحديث (.. كالجمل الأنف، ان تيد انقاد ، وان أنيخ على صخرة استناخ)

فأين نحن من هـــذا ؟

ان معظمنا شارد ، ناب ، يظهر وفق صورة أخـــرى سجلها حديث أم زرع (قالت السابعة : زوجى غياياء (٧) ، أو عياياء (٨) ، طباقاء (٩) ، كل داء له داء ، شجك (١٠) ، أو فلك ، أو جمع كلا لك)

معظمنا يرزح فى أغلال الخيبة ، وينوء تحت أطباق العجز ويشـــكو متبرما من كل شىء ، ومن لا شىء ، ويثور فيفقد توازنه ، ويؤذى — قبل البعداء — الأقرباء . فهل يؤتمن مثل هذا على الاسلام ، والمسلمين ؟

يتبـــع

بخارى أحمد عبده

---

(١) تقصد .
(٢) تدخر .
(٣) مختزنة ، مخفية .
(٤) الآناء الأوقات .
(٥) المصمت الذى لا جوف له .
(٦) الكثيب المهيل : الرمل المتناثر . من قوله سبحانه : (يـــوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا) اى رملا مجتمعا متناثرا بعد أن كانت حجارة صلبة متماسكة .
(٧) من الغى الذى هو الضلال والخيبة .
(٨) العيى العاجز الضعيف .
(٩) تنطبق عليه الأمور وتستغلق فلا يرى لها حلا .
(١٠) كناية عن تخبطه ، وتهوره وعدوانيته .

بَابُ السُّنَّة

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

لم يدفن النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده

ان تعجب فعجب قول أولئك الذين يشاقون الله ورسوله : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفون في مسجده » دفاعا عن السنة السيئة التي أحدثها الشيعة الفاطميون بمصر في القرن الخامس الهجري، مبتدئين بجمجمة مجهولة ، أتى بها زنديق متقربا الى الخليفة الفاطمي ، بقوله : هذا رأس جدك الحسين .

فأقام الخليفة الدنيا وأقعدها ، وشيد لها المسجد المشهور بالقاهرة المسمى بمشهد الحسين (رضي الله عنه) وظل أكثر المصريين يقدسون ضريحه حتى أتى حين من الدهر واتصلت الحكومة المصرية بأكبر مصنع في برمنجهام بانجلترا ، وصنع للقبر المقصورة النحاسية على الضريح المجهول ، أو بالأحرى على الرأس المزيف .

حقق ذلك المؤرخ المشهور أحمد زكي باشا في عام ١٩٢٥ م ، وغيره من المؤرخين .

أما المحققون من علماء الاسلام ، فعلى رأسهم شيخ الاسلام أحمد بن تيمية ، رحمه الله تعالى ، حقق ذلك في كتبه ونفى نفيا قاطعا أن رأس الحسين بمصر .

وبمضي الزمن ، اعتقد الناس أن القبر المسمى بقبر الحسين في

مسجد الحسين حقيقة واقعة ، والناس معذورون فى هذا الوهم ، لأن الحكومة وعلى رأسها وزارة الأوقاف المصرية ، تشارك العامة باقامة مولد للحسين كل عام ، وللأسف الشديد نرى العلماء يشجعون هـذه الخرافة ويقرون العامة على ما صنعوا •

ثم سارت العدوى الى مشايخ الصوفية ــ وهم طوائف لا حصر لها ــ فاذا مات شيخ من مشائخهم خلعوا عليه الولاية ، ووصفوه (بالعارف بالله) ــ وكثير منهم لا يعرف لهم فضل ولا علم ــ واتخذوا لقبره مسجدا ، يشد اليه الرحال ، ويلجأ اليه فى الشدائد ، ويلتمس من قبره قضاء الحاجات وتفريج الكروب • وسدا لذريعة الشرك بالله لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ أى قبر مسجدا ، ولو كان نبى أو تقى •

وجاءت النصوص صريحة فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذوا القبور مساجد • ولكن سدنة القبور ، والذين يأكلون النذور كتموا الحق ، ولم يبينوه للناس فاستحقوا لعنة الله ورسوله •

أما قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فكثير ممن يزورون المسجد النبوى الشريف يعتقدون أنه عليه الصلاة والسلام مدفون فى مسجده ، واتخذوا من هذا الوهم ذريعة لصحة اتخاذ القبور مساجد • ومنهم شيخ للأزهر ، ومنهم وزير سابق للأوقاف ، ومنهم قادة للشباب ، ومنهم من تصدر للفتيا بالاذاعة والتليفزيون • وكل هؤلاء يتناسون قول المعصوم صلى الله عليه وسلم : ــ

١) عن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) رواه مالك فى الموطأ •

٢) وروى أحمد فى مسنده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه •

٣) وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها : أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما فيها من الصور • فقال (أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح ــ أو العبد الصالح ــ بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله)

٤) وفى الصحيحين عن عائشة قالت : لما نزل (بضم النون للبناء للمجهول) برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه (وهذا فى مرضه الأخير صلى الله عليه وسلم) فاذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد • يحذر ما صنعوا قالت : ولولا ذلك أبرز قبره (بضم الهمزة) غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا •

هــذه النصوص الصريحة كتمها الذين أضلهم الله على علم ، فضلوا وأضلوا ، لأنهم شرار الناس كما جاء فى حديث ابن مسعود السابق ذكره • وهم فى ذلك ينطبق عليهم قول النبى صلى الله عليه وسلم (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) وقال تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) ٢٥ من سورة النحل •

ولقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم اتخاذ القبور مساجد ، سدا لذريعة الشرك ، وقد حصل ما خافه النبى صلى الله عليه وسلم من الضراعة عندها بل ومنهم من يسجد لها • وأكثر من يزور هــذه القبور يرجون منها ما لا يرجون من الله تعالى •

هذا الحق الواضح لا يبينه أئمة المساجد ذات القبور ، خشية أن يفقدوا المنافع الدنيوية الممثلة فى النذور التى يقدمها الدهماء والجهلة من الناس فى الموالد وكلما زاروا ضريحا لا يسمع ولا يجيب • وهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون • وكلما نصح الناصح قيل

له (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وما دروا أن ولى الله هو الذى يحيا على طاعة الله تعالى • يجمع بين صحة الايمان والعمل الصالح ، والخلق الحسن ، طعامـه طيب وخلقه طيب ، ان جالسته نفعك ، وان جاورته نفعك ، وان عاشرته نفعك بعلمه وخلقه وسلامة عقيدته •

يخرج من هذا الدجالون من رجال الطرق ، الذين يتظاهرون بالصلاح ، ويأكلون أموال الناس بالباطل •

فالذين يعتقدون صحة اتخاذ القبور مساجد ، كلما زاروا المسجد النبوى الشريف ، ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم مدفون فى مسجده جريا على عادة رجال الطرق ، ومن على شاكلتهم ممن يحرفون الكلم عن مواضعه •

والحقيقة التى لا مرية فيها ، والتى دونتها السنة الشريفة ، وسجلها التاريخ : هى أن النبى صلى الله عليه وسلم دفن فى حجرة عائشة رضى الله عنها ، التى مرض فيها ففاضت روحه الطاهرة بها • حيث علم منه صلى الله عليه وسلم قبل وفاته أن الانبياء يدفنون حيث تقبض أرواحهم •

ومن أجل ذلك دفن فى حجرة عائشة رضى الله عنها • والسبب فى عدم دفنه فى المسجد هو نهيه صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك كما أسلفنا •

وكان صحابة النبى صلى الله عليه وسلم أحرص الناس على اتباعه ، كما أنهم أشد حبا له • ومع ذلك فلم يدفنوه بالمسجد تكريما له ، كمـا يفعل المبتدعون فى اتخاذ القبور مساجد مغالاة فى حب الصالحين •

ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صاحباه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما • ولما قتل عثمان أريد دفنه معهما • فقالت

عائشة : لا أتخذ حجرتى مقبرة بعد الآن • ولم توافق على دفن عثمان مع الشيخين •

وفى عام ١٧ هـ ضاق المسجد بالناس • فأجرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، التوسعة الأولى من اللبن غير أنه وضع أساسه من الحجر ، فأنكر عليه بعض الصحابة أن يحدث بدعة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال ما أردت الا الخير ، أردت منع خطر السيول من أن تؤثر فى المسجد ، ثم عمل السوارى والسقف من جذوع النخل والجريد ، وقال للبناء : أكن ــ بتشديد النون ــ الناس من المطر ، واياك أن تحمر ، أو تصفر ، فتفتن الناس • وبناه على البساطة الأولى كبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه التوسعة من الغرب والشمال ، دون المساس ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى يقع شرقى المسجد •

وفى عام ٢٤ هـ ضاق المسجد بالعاصمة الاسلامية (المدينة المنورة) تبعا لاتساع الدولة الاسلامية • فأجرى عثمان رضى الله عنه التوسعة الثانية ، وامتدت الى الجنوب والشمال والغرب ، أما الجانب الشرقى الذى يقع فيه البيت الشريف فلم يمس ، حتى يكون القبر على حاله منفصلا عن المسجد ، وذلك صيانة للتوحيد الذى دعت اليه الرسل ، ولكى لا تتعلق قلوب بالقبر • ولو شاهدنا ما يفعله الناس عند المقبورين بالمساجد ، كالبدوى والدسوقى وغيرهما ، من الصلاة بجوار القبر تبركا ، أو الاستعانة به فى جلب منفعة ، أو دفع مضرة ، والنذر له من دون الله ، لأدركنا الحكمة فى النهى عن اتخاذ القبور مساجد ، سدا لذريعة الشرك ، لأن النذر والاستعانة والرجاء والتوكل والخشوع وغيرها : كل ذلك من حق الله وحده • فلو صرفها العبد الى غير الله تعالى وقع فى شرك لا يغفره الله تعالى ، حيث قال جل شأنه (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)

متى ضم القبر الشريف الى المسجد

كان العداء مستحكما بين خلفاء بنى أمية ، وبين أبناء الحسن

والحسين رضى الله عنهما ، وكان الوليد بن عبد الملك بن مروان ظالما غشوما ، اتخذ من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة لخدمة سياسته .

فلما حج عام ٨٠ هـ بعد أن آلت اليه الخلافة ، وزار المدينة المنورة ، وخطب الناس يوم الجمعة ، وبعد الصلاة لم يقبل عليه أهل المدينة للسلام عليه ، وحانت منه التفاتة الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا بالحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب ترنو اليه الأنظار محبة وتقديرا واحتراما . وكانت تسكن معه فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهم أجمعين . فغز على الوليد ألا يحفل به الناس ، وألا يهتموا به بصفته خليفة للمسلمين ، وتمكن منه الحقد على أبناء على رضى الله عنه ، وعمل على تشتيتهم فى الأمصار . واستعمل المكر والخديعة فى ذلك .

فأعلن أنه يريد تجديد المسجد النبوى الشريف وتوسعته ، وأصدر أمره الى أمير المدينة بهدم المسجد واضافة بيت الرسول كله بما فيه القبر الى المسجد بحجة توسعته .

ولما قيل للحسن بن الحسن ، وزوجه فاطمة بنت الحسين : لا بد من الرحيل من البيت .. أبيا أن يخرجا بذريتهما ، فأرسل اليهم الوليد : ان لم تخرجوا هدمناه على رءوسكم ، وتم تنفيذ أمر الوليد . وانتقل أبناء الحسن والحسين الى الحيرة بالعراق . وتمت التوسعة الثالثة للمسجد بعد ضم البيت الشريف اليه وذلك عام ٨٨ هـ

ومن هذا يتضح أن قرار الوليد بتوسعة المسجد النبوى عمل لم يرد به وجه الله تعالى .. ولكن للكيد لأحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون لهم قرار بالمدينة . فالعمل سياسى لا دينى كما أسلفنا .

وغنى عن البيان أن هذا العمل أثار سخط المسلمين . فقد روى عن نصار الخراسانى ، قال (أدركت حجرات النبى صلى الله عليه

زيادات الخلفاء والسلاطين حتى انتهت بتوسعة آل سعود عام ١٤٠٢ هـ

رسم توضيحي لتوسعة المسجد النبوي الشريف ويتضح أن القبر الشريف كان بالبيت النبوي منفصلا عن المسجد حتى ضمه الوليد عام ٨٨ هـ برافع سياس عبد الرحيم

وسلم من جريد على أبوابها المسوح من شعر أسود ، فحضرت أمر الوليد بن عبد الملك بادخال حجرات النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد ، فما رأيت يوما اشتد فيه البكاء أكثر من ذلك اليوم) يقصد البكاء على تشتيت آل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سعيد بن المسيب حيا يرزق فقال (والله لوددت أنهم تركوها على حالها) يعنى حجرات النبى صلى الله عليه وسلم .

هذا ولما تم بناء المسجد جاء الوليد من دمشق الى المدينة ، وأخذ يتجول فى المسجد ، معجبا فخورا ببناء المسجد بالزخرفة التى أدخلت عليه ، مما لم يكن للمسلمين عهد ببناء المساجد بالزخرفة والقباب على طريقة الكنائس ، وكان أبان بن عثمان بن عفان لا يزال حيا . فأخذ الوليد بيده وطاف بالمسجد وقال لأبان رضى الله عنه (أين بناؤنا من بنائكم) فكان جواب أبان على الفور (لقد بنيناه بناء المساجد ، وأنتم بنيتموه بناء الكنائس) .

فبهت الوليد . وكانت الكلمة كالصاعقة فى أذنه ، لأن توسعة عمر ثم عثمان للمسجد النبوى الشريف . كانت مستوحاة من بساطة الاسلام فى عمارة المساجد دون أن تخالطها الزخارف والحمرة والصفرة وغير ذلك مما يشغل الناس ويصرفهم عن الخشوع فى الصلاة . وكانت المساجد فى الصدر الأول من الاسلام كجامع عمرو بن العاص ، والمسجد النبوى ، ومسجد على بالكوفة .. كانت تنطق ببساطة الاسلام وقوته.

ثم خلف من بعدهم خلف اهتموا بزخرفة البنيان ، مع ضعف الايمان .

والله أعلم

محمد على عبد الرحيم

مصادر البحث : ــ

١ ــ وفاء الوفا بأخبار المصطفى للسمهورى .
٢ ــ الرحلة الحجازية للبتانونى .
٣ ــ البداية والنهاية لابن كثير .
٤ ــ منزل الوحى لمحمد حسين هيكل باشا .

حكم الاحتفال بالمولد

بقلم : سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . أما بعد :

فانه قد طرأ على صفاء هذا الدين ووضوح أحكامه فى عصور انحطاط المسلمين كثير من البدع والمحدثات التى زادت انحطاطهم انحطاطا ، وشغلتهم عن العودة الى العقيدة الصافية والتمسك بها ، والرجوع الى الحق ، بتتبع المظاهر الفارغة والتقاليد العمياء التى سنها من ضل وأضل ، فحادت بهم عن طريق الحق وسلكت بهم مسالك الضلال ، ولبست على المسلمين فى عقيدتهم ، وأخمدت فيهم جذوة الايمان وجمال الاتباع ، وامتصت طاقاتهم المتعددة المتقدة قوة وحماسا ، بمظاهر فارغة وأعمال خاوية ، فانتشرت بينهم أعمال الاحتفالات المبتدعة ، واتجه رجاؤهم وتعلقهم بالله الى التعلق بالقبور والأضرحة والتماس الشفاعة منها وطلب الحاجات اليها ، فعاد أكثر المسلمين بهذه الضلالات الى مظاهر الوثنية وتقديس الأشخاص ، فاستخفهم أعداؤهم وازداد تدهورهم وتحولت قوتهم الى ضعف . وبحلول التاريخ الذى يعتقد الناس أنه يوافق مولد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم تحل مناسبة ابتدع كثير من الناس فيها اقامة الاحتفالات بالمولد ، وزعموا أن ذلك مما يحقق المراد من حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وموالاته ، ويغفلون الواجب فى أن محبة الرسول انما تكون باتباعه وطاعته . أما هذه الاحتفالات الشائعة فهى

غير جائزة ، بل هى من البدع المحدثة فى الدين ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ، ولا التابعون لهم باحسان فى القرون المفضلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومتابعة لشرعه ممن بعدهم .

وأول من ابتدعها فيما بلغناهم الفاطميون فى القرن الرابع الهجرى ، وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة واظهار التشيع لأهل البيت والغلو فيهم . وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » أى مردود عليه . وقال فى حديث آخر : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » . ففى هذين الحديثين تحذير شديد من احداث البدع والعمل بها وقد قال الله سبحانه فى كتابه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وقال عز وجل : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » . وقال سبحانه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .. » وقال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم » . وقال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا .. » والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

واحداث مثل هذه الموالد يفهم منه أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يبلغ ما ينبغى

للأمة أن تعمل به ، حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقرب الى الله ، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين ، وأتم عليهم النعمة ، والرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ البلاغ المبين ، ولم يترك طريقا يوصل الى الجنة ويباعد من النار الا بينه للأمة . كما ثبت فى الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله من نبى الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم » رواه مسلم فى صحيحه . ومعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغا ونصحا ، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذى يرضاه الله سبحانه لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم للأمة أو فعله فى حياته ، أو فعله أصحابه رضى الله عنهم . فلما لم يقع شىء من ذلك علم أنه ليس من الاسلام فى شىء ، بل هو من المحدثات فى الدين التى حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها أمته — كما تقدم ذكر ذلك فى الحديثين السابقين .

وقد جاء فى معناهما أحاديث أخر مثل قوله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الجمعة : « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة .. » رواه الامام مسلم فى صحيحه . والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

وقد صرح جماعة من العلماء بانكار الموالد والتحذير منها عملا بالأدلة المذكورة وغيرها ، وخالف بعض المتأخرين فأجازها اذا لم تشتمل على شىء من المنكرات كالغلو فى رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، وكاختلاط النساء بالرجال واستعمال آلات الملاهى .. وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر . وظنوا أنها من البدع الحسنة . والقاعدة الشرعية رد ما تنازع فيه الناس الى كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » وقال تعالى : « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه الى الله » وقد رددنا هذه المسألة وهى الاحتفال بالموالد الى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ويحذرنا عما نهى عنه ، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها . وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون ليس من الدين الذى أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه . وقد رددنا ذلك أيضا الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رضى الله عنهم ، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين بل هو من البدع المحدثة ومن التشبه بأهل الكتاب من اليهود والنصارى فى أعيادهم .

وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة فى الحق وانصاف فى طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الاسلام ، بل هو من البدع المحدثات التى أمر الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم بتركها والحذر منها ، ولا ينبغى للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس فى سائر الأقطار فان الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وانما يعرف بالأدلة الشرعية كما قال تعالى عن اليهود والنصارى : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » وقال تعالى : « وان تطع أكثر من فى الأرض

يضلوك عن سبيل الله » الآية . ثم ان غالب هذه الاحتفالات بالمولد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى : كاختلاط النساء بالرجال ، واستعمال الأغانى والمعازف وشرب المسكرات والمخدرات وغير ذلك من الشرور ، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك ، وهو الشرك الأكبر وذلك بالغلو فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره من الأولياء ودعائه والاستعانة به وطلب المدد منه واعتقاد أنه يعلم الغيب ونحو ذلك من الأمور الكفرية التى يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبى صلى الله عليه وسلم وغيره ممن يسمونهم بالأولياء . وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اياكم والغلو فى الدين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين » وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث عمر رضى الله عنه .

ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد فى حضور هذه الاحتفالات المبتدعة ويدافع عنها ، ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات ، ولا يرفع بذلك رأسا ولا يرى أنه أتى منكرا عظيما . ولا شك أن ذلك من ضعف الايمان وقلة البصيرة وكثرة مران على القلوب من صنوف المعاصى والذنوب ، نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين .. ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الموالد ، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين ، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج من قبره قبل يوم القيامة ، ولا يتصل بأحد من الناس ، ولا يحضر اجتماعاتهم ، بل هو فى قبره الى يوم القيامة ، وروحه

في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة كما قال تعالى في سورة البقرة : « ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأنا أول مشفع .. » عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام . فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأموات انما يخرجون من قبورهم يوم القيامة ، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم ، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان ، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا به . أما الصلاة والسلام على رسول الله فهي من أفضل القربات ومن الأعمال الصالحات كما قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما .. » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا » وهي مشروعة في جميع الأوقات ومتأكدة في آخر كل صلاة ، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير ، وسنة مؤكدة في مواضع كثيرة منها ما بعد الأذان ، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام ، وفي يوم الجمعة وليلتها ، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة .

والله المسئول أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه والثبات عليه وأن يمن على الجميع بلزوم السنة والحذر من البدع انه جواد كريم . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

السحت فى جيوب المحاسيب

هيئات المنتفعين بالموالد وصناديق النذور من الصوفية لا يعجبهم ما ينادى به الاسلام حين يقول ان النذر لغير الله يعتبر شركا بالله . ولعلنا لو علمنا الحقيقة لأدركنا لماذا يقفون هذا الموقف من الدفاع عن الأضرحة وما يجرى حولها . وجزء من هذه الحقيقة نشرته جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٧ صفر ١٤٠٥ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٨٤ فى صفحة المحافظات .

ونحن بدورنا ننقل للقارىء الكريم ما نشرته الجريدة دون تعليق . تحت عنوان « بعد الاحتفال بمولد السيد البدوى . حصيلة صندوق النذور .. لمن ؟ » كتبت تقول :

هل من المعقول أن يحصل شخص واحد مهما كان هذا الشخص على مبالغ تتراوح بين ١٠ آلاف وخمسة عشر ألف جنيه فى أسبوع واحد لا لشىء سوى أن البعض يعتبرونه من محاسيب السيد البدوى بطنطا ؟ كان ذلك بداية الرسالة التى تلقيناها من الدكتور زكريا حسن عبد القادر نقيب الصيادلة بالمحلة الكبرى فيها يقول « لقد احتفل الناس منذ أيام قلائل بمولد (سيدى) أحمد البدوى بطنطا وجريا على المتبع تقوم لجنة بفتح صندوق النذور لتوزيع حصيلته بنسبة معينة على أشخاص لا يتعدون أصابع اليد الواحدة . وطبقا لآخر احصائية فى المولد الماضى بلغت حصيلة الصندوق ١٢٤ ألف جنيه وبتوزيع الحصيلة على هؤلاء الأشخاص المشار اليهم كان نصيب أحدهم أكثر من ١٠ آلاف جنيه . وهناك مواسم لصندوق نذور (سيدى) أحمد البدوى على مدار السنة منها موسم المولد النبوى والرجبية وغيرها يمكن أن تصل حصيلتها الى ما يقرب من نصف مليون جنيه ...»

المرأة المسلمة وعودتها إلى الله

بقلم : ماجدة محمد شحاته

.. وطالما تركزت البحوث ، وأسهبت المقالات والدراسات فى الحث على اعداد الطفل ، اعدادا يهيئه لأن يكون رجل المستقبل ، الذى يتفهم دينه ، ويدرك مرامى أحكامه . ونحن لا ننكر ذلك ، فتربية الطفل على نهج اسلامى واضح ، يحقق نفعا عظيما للمجتمع الاسلامى الذى نصبو لقيامه .

بيد أن تربية الطفل على ذلك المنهج الذى نريده لن يكون أبدا ، ولن يؤتى ثمره الا اذا أصبح الأبوان على قدر كبير من الالتزام بكتاب الله ، والاتيان الصحيح لسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واننى اذ أعرض لطرف أعتقد أنه هو الأساس ، الذى يقوم عليه البناء ، وهو الخطوة الأولى التى يجب أن تكون على بينة لمواصلة الطريق الطويلة ، تلك هى المرأة ، وما يقع عليها من تبعات توضح تلك الغايات المنشودة فى أم المستقبل . ذلك أن القيام عليها انما هو ترسيخ وتعميق للأسس ، التى يجب أن يقوم عليها المجتمع الاسلامى ، فصلاح المرأة يؤدى الى صلاح المجتمع ، وفساد أخلاقها افساد للمجتمع كله .

ولقد أدرك أعداء الاسلام دور المرأة الخطير فى تأسيس دعائم الأسرة المسلمة الحقة ، فركزوا على توجيه ضرباتهم من خلالها ، ونحوا أساليبهم الملتوية للعمل على انهيار المجتمع الاسلامى واتخذوا المرأة سبيلا سهلا للكيد بالاسلام ، ذلك أنهم يدركون أن المرأة هى المفتاح اللازم لافساد المجتمع وتدمير قيمه ومبادئه ، ومن هنا سعوا للنيل من الاسلام عن طريق حواء ، وما أسهلها من وسيلة تثير الفتن ، وتوقع فى الآثام ، وتغرى بالخطايا والزلل .

ومما يؤسف له أن مجتمعنا العربى يعيش عهدا لا قبل له به ، حيث التقليد الأعمى ، واستيراد كل ما هو غث فى عالم ما يسمى بالحضارة الغربية . وباسم التمدين غدا أناس من المجتمع العربى يتبنون الأفكار الغربية المنحرفة ، ويعملون فى جد على بثها فى عقول شباب وفتيات الاسلام . وباسم المدنية والتحضر أصبح كل ما هو غربى له حق الصدارة والجدارة بالفعل والحذو . والمرأة اذ تعيش هى الأخرى تلك الفترة الحالكة نجدها تصغى بكل ما أوتيت من آذان صاغية ، الى ما تطلقه الغربيات المتطرفات من شعارات ودعوات نكراء . والمؤسف حقا أن يروج لتلك الدعوات نساء شهيرات سعين يلصقن بالاسلام كل مبتدع فى عالم المرأة ، غير أن الواقف على تلك الشعارات النسائية المدعاة ، يجد أن المرأة الغربية ، وبعد ممارستها الفعلية لحقوقها المزعومة ، يجدها قد سئمت ما نادت به فى سالف عهدها بالحرية ، واعتقدت آنذاك صوابه ، هاهى قد سئمت المساواة وما نتج عنها من خروج عن طبيعتها كامرأة ، حتى أصبح الرجل يعاملها على غير ما كانت تتصور ، فقد أصبح يعاملها لا من منطلق أنوثتها التى تفرض عليه الرفق بها ، وتجنيبها الويلات ، بل يعاملها معاملة الند والنظير فى كل شىء ، حيث يقتحم عليه مجالاته التى يستشعر من خلالها كامل رجولته ، وينازعه سبل عيشه ورزقه ، ومن هنا فهو يقف لها بالمرصاد لئلا تسلبه مقومات رجولته .

وفى الوقت الذى أدرك الغربيون العقلاء أخطار وقوف المرأة بمحاذاة الرجل ، متساوية معه فى أدق الأشياء ، واحجامهم عن مناصرة تلك الحركات التحررية للنساء .. فى ذلك الوقت نجد المرأة العربية ـ المسلمة بالاسم ـ تندفع اندفاعا لا هوادة فيه ، فتعلن وفى تشدق عن حقوقها ، وتعلو صيحاتها مطالبة بمساواتها بالرجل ، متغافلة ، بل ومتجاهلة ما دفع المرأة فى الغرب للمطالبة بتلك الحقوق .

ولو أن المرأة هنا فى الشرق الاسلامى ، تملك ذرة من التعقل والادراك الصحيح لما هى عليه من سمو المكانة فى مجتمعها الاسلامى ،

لأنكرت تلك الصيحات الجوفاء التي أعلنتها الأوربية في مجتمع يتجاهل المرأة ، ولا يقر لها حقا ، ولا يعترف لها بانسانية . ولو أن المرأة العربية عقلت قليلا لأدركت ذلك الدافع الذي زج بالأوربية للخروج الى العمل ، حيث السفور والتبرج والمجون . ذلك هو دافع النقص في الأيدي العاملة ، وافتقار المصانع والمتاجر والمزارع الى الرجال ، الذين ابتلعتهم الحربان العالميتان المدمرتان . ونتيجة ذلك كان الاتجاه الى اخراج المرأة قسرا الى العمل لاحلالها محل الرجال .

ولا يقف الدافع عند هذا الحد ، فقد هضم حق المرأة في الأجر وعاملها مجتمعها على أنها لا تعدو أن تكون من عمل الشيطان ، ولا يحق لها أن ترقى الى انسانية البشر ، واعتبرت من متاع الرجل ، الذي يحق له حرية التصرف فيه ولا حق لها في ارثها ومالها ، بل هي بكل ما تملك لزوجها ، حتى أنها لم تحتفظ باسمها ونسبها ، فقد آلت بكل شيء دق أم جل الى الرجل .

ولو أن المرأة العربية ـ المسلمة ـ أدركت تلك الدوافع لحمدت الله على ما أنعم عليها من النعم ، وعلى أن عافاها مما ابتليت به المرأة في الغرب ، وما تشدقت ورددت كالببغاء حقها المزعوم في الخروج الى العمل متساوية بذلك مع الرجل متناسية أنها لم تطالب في أي عصر من العصور بالتكسب ، بل الكسب والسعي وراء الرزق هو مهمة الرجل ، وطبيعته تعده لذلك ، فالخروج اذن ومزاحمة النساء للرجال في كافة ميادين العمل ، هو خروج بالمرأة عن طبيعة تكوينها ، الذي يؤهلها لرسالة أخرى خلقت من أجلها ، ولم يعرف لها مكان للقيام بها سوى البيت .

وليت المرأة في الشرق الاسلامي تقف على كل ما يصدر اليها من أفكار غدت في منابعها التي انطلقت منها غير ذات بال ، ولا يكاد يلتفت اليها عقلاء الحضارة المتهاوية ، ليتها تقف وقفة المدرك الحصيف ، الذي ينأى بنفسه عن تقليد أعمى ، يسلبه الفهم والتمييز ، بين كل ما هو دارج تحت الحضارة والتمدين ..

ماجدة محمد شحاته

المرأة العاملة وأمراض القلب

الرجل المتزوج من امرأة ناجحة فى مجال عملها معرض للاصابة بأمراض القلب أكثر من الرجل المتزوج من امرأة غير عاملة .. هذا ما أظهرته دراسة نشرتها أخيرا جامعة جنوب كارولينا فى الولايات المتحدة . فقد جاء فى نتائج هذه الدراسة أن نسبة الاصابة بأمراض القلب بين أزواج الناجحات جدا فى أعمالهن تزيد احدى عشرة مرة عنها فى أزواج غير الناجحات . وأوضح العلماء أن السبب فى ذلك يرجع أساسا الى الحالة النفسية السيئة لحوالى ٨٠ ٪ من هؤلاء الازواج الذين يعانون من اهمال الزوجة أو تهديدها لهم أو سوء معاملتها .

التوحيد

ما أعظم الاسلام الذى نظم حياة الأسرة تنظيما كاملا فقسم الأعباء والمسئوليات بين الرجل والمرأة، فجعل النفقة واجبة على الرجل وجعل ذلك من أسباب قوامته عليها فى قوله تعالى « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وأمر المرأة أن تقر فى بيتها لأهمية ذلك فى ادارة شئون البيت وتربية الأولاد « وقرن فى بيوتكن »

ولبيت الضرر فى عمل المرأة يعود على الرجل وحده كما أظهرت الدراسة المشار اليها ، وانما يعود أيضا على الأولاد الذين يفقدون العطف والحنان الفطرى الذى أوجده الله تعالى فى قلب الأم والذى لا يمكن أن يجدوه عند الأمهات البديلة فى دور الحضانة .. والنتيجة أن يخرج الى المجتمع أجيال من ذوى العقد النفسية الذين يميلون الى الجريمة .. وتستمر المعاناة فى حلقات تؤدى احداها الى الأخرى دون نهاية .

لا يافضيلة الدكتور

بقلم : على حفنى ابراهيم

فى برنامج « ندوة للرأى » التى أذاعها التليفزيون يوم ١٤ /٩ / ١٩٨٤ وجه سؤال الى فضيلة الدكتور عبد الله شحاته عن جواز الصلاة فى المساجد التى بداخلها قبور لبعض الصالحين • فأفتى بجوازها حتى لقد قال : صلوا فيها وعلى مسئوليتى والصلاة فيها مقبولة •

ولما كانت هذه الفتوى مخالفة للأحاديث القاضية بتحريم اقامة المساجد على القبور وهى تحمل نهى المسلم عن الصلاة فيها فقد قمت بتحرير رسالة ضمنتها بعض أحاديث النهى عن وضع القبور داخل المساجد وأرسلتها الى فضيلته • وهذا نصها بعد المقدمة :

استمعت واستمع غيرى الى « ندوة للرأى » التى أذاعها التليفزيون يوم ١٤ / ٩ / ١٩٨٤ وفيما طرح من أسئلة سؤال حول جواز الصلاة فى المساجد التى فيها قبور الصالحين وعدم الجواز وتسمية الذين يصلون فيها والقائمين عليها بالقبوريين • وقد أجزت الصلاة فيها مع علمك بالأحاديث القاضية بتحريم بناء المساجد على القبور •

١ — ولو استطلعنا تاريخ الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لوجدنا أن مدخل الشرك بالله الى الناس الذى جاء المرسلون لتطهير القلوب منه انما هو باتخاذ قبور الصالحين أماكن للعبادة • وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قال أسماء رجال صالحين من قوم نوح • فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت • وهو نفس الذى حدث مع اللات فقد كان رجلا صالحا كريما يصنع السويق لحجاج بيت الله الحرام قبل البعثة المحمدية ، فلما مات عكفوا على قبره • وذلك على مر تاريخ البشرية من بعد قوم نوح عليه السلام لا يخلو مكان فيه قبر لأحد الصالحين ويتخذ مكانا للعبادة الا وتجد فيه عبادة لغير الله من الدعاء والخشية والانابة والتعظيم والرجاء فى الميت أن يكشف الضر ويجلب المنفعة ثم يعظم

ويطف به وينذر له ويطاف حـول قبره . فما موقفك وأنت تصلى بجوار هؤلاء ؟

٢ ــ والعلة التى من أجلها منع الله المشركين من دخول المسجد الحرام أنهم نجس وهى نجاسة شركية حتى يخلص المسجد الحرام من أدران الشرك بحيث لا يبقى فيه الا الموحدون أصحاب العقيدة الصحيحة . فلا يجوز لأصحاب العقيدة الصحيحة أن يدخلوا أماكن الشرك ويقيموا فيها عبادة الله سبحانه .

٣ ــ بناء على الأحاديث المانعة من اتخاذ المساجد على القبور واعتبار ذلك من فعل غير المسلمين بل هو من وحى الشيطان الـذى أوحاه الى اليهود والنصارى . وفى الحديث « من تشبه بقوم حشر معهم » فكان من الضرورى جدا أن تخلو مساجد المسلمين من مثل هذه الأفعال غير الاسلامية . روى مسلم فى صحيحه من حديث جندب ابن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد انى أنهاكم عن ذلك » . وفى صحيح البخارى وغيره من حديث أبى مرثد الغنوى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » . وقد ذكرت أم سلمة وأم حبيبة رضى الله عنهما أنهما رأتا كنيسة بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « أولئك قوم اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » الى غير ذلك من الأحاديث الناهية عن هذا .

٤ ــ روى أبو داود بسند صحيح أن رجلا نذر أن يذبح ابلا ببوانة على عهد النبى صلى الله عليه وسلم . فأتى النبى صلوات الله وسلامه عليه ليسأله هل يفى بنذره ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قال : لا . قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قال : لا . قال : أوف بنذرك . ومعنى هـذا

أنه لو كان فيها وثن من أوثانهم أو عيد من أعيادهم لمنعه النبى صلى الله عليه وسلم من الوفاء بنذره فى ذلك المكان اذ يكون فيه مشابهة بعمل أهل الجاهلية . فكيف تجيز للصلاة فى تلك الأماكن الملوثة بالشرك بالله ؟ والعبد مطالب وهو يعبد الله أن يحقق شعبة الاخلاص وشعبة المتابعة وهى تتحمل ضرورة الامتثال للأمر والنهى وقد جاء النهى عن اقامة المساجد على القبور .

أرجو أن توفق لمراجعة نفسك والرجوع عن هذا الرأى تمشيا مع الهدى النبوى الكريم .

ونحن والحمد لله لسنا بدعوتنا هذه نصرف الناس عن البناء والتعمير حتى تستعدى علينا وتشهر بنا أننا نصرف جهود الشباب بدعوتنا هذه عن التعمير والبناء بل اننا نتكسب أرزاقنا بعملنا ونقضى أوقات فراغنا فى تعلم الكتاب والسنة وتعليمهما للناس .. وهذا من فضل الله علينا . وقد كان الأولى أن توجه هذه الدعوة الى طابور القراء الذين يتكلون بالقرآن ، أو الى أرباب الطرق الصوفية وقد عاش مشايخهم عالة على الدراويش ، أو الى الشباب الذين جرفهم تيار اللعب وأصبحوا لعبة فى يد الشيطان وقد قذف بهم يشاكسون النساء فى الطرقات . وانتهى اللقاء بك . انتهى الخطاب

وهذه الحملة الأخيرة كانت ردا على ما قاله الدكتور فى هذه الندوة حيث قال : دعوا الناس يبنون ويشيدون ، دعوهم يبنون دارا أو حجرة . ثم بعد أسبوعين وفى نفس البرنامج يسأل نفس السؤال ويؤيد ما قاله من قبل ثم كال لنا تهما وكلاما لا نرضى أن نسجله على صفحات هذه المجلة . سامحه الله .

ومما تقدم نرى أن المساجد التى بنيت على القبور مساجد غير اسلامية . وهى قد بنيت مضاهئة لبيوت الله التى أمر الله باقامتها ليذكر فيها الله وحده لا شريك له بدعاء أو خشوع أو خضوع فكل ذلك لله وحده . واذا كان من الضرورى تطهير هذه المساجد مما هى ملوثة به من أسباب الشرك وهى تنحصر فى وجود القبر داخل المسجد حيث قد الف الجهلاء حول القبر . واذا لم نستطع ذلك فعلينا — وهو

أضعف الايمان ــ أن نبتعد عنها وننصح الناس بعدم الصلاة فيها سدا لذريعة الشرك اذ أن وجودنا فى تلك المساجد يعطى الجهلاء الحجة على أن وضع القبر داخل المسجد أمر مشروع والله يعلم أن ذلك أمر مضاد لشرعه الذى بعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم •

وبعض الناس يحتج بحسن النية فى قبول الأعمال • وهذا صحيح بشرط أن يضاف اليه حسن المتابعة لأمر النبى صلى الله عليه وسلم • وفى الحديث « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » •

ومن هذا المنطلق جاء الرجل وهو يريد أن يفى بنذره فى بوانة ولا شك أنه مخلص لله • ولو كان فى بوانة وثن أو عيد من أعياد الجاهلية لما أذن له فى الوفاء بنذره مع اخلاصه •

ومن هذا المنطلق أيضا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس وعن الصلاة بعد الفجر حتى تشرق مهما بلغ المصلى من الاخلاص • كذلك كان اذا صلى الى سارية (عمود) كان يجعله على حاجبه الأيمن أو الأيسر • كل ذلك كان تحاشيا من مشابهة عبدة الشمس عند الشروق والغروب أو عبدة الأصنام •

ويااليت علماءنا يقومون بواجبهم نحو الأمة بالنصح والارشاد بالعلم الصحيح اذا لاستيقظ النائم ورد الشارد وتنبه الغافل • أما السكوت على الباطل والدفاع عنه فهى خصلة المغضوب عليهم والضالين أعاذنا الله منها •

وخلاصة القول يا فضيلة الدكتور أن المساجد يجب أن تكون خالية من عبادة غير الله وخالية من القبور عملا بقوله تعالى « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » وكما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيما مر من أحاديث • واذا وجدت مثل هذه المساجد فلا تصح فيها الصلاة لأنها تعتبر قبورا وليست مساجد •

والأمل فى الله أن ترجع الى الحق الذى ارتضاه الله لعباده وأن تعمل ليوم يحاسبك فيه ربك على مثل هذه الفتاوى • والسلام •

على حفنى ابراهيم

الأعمال بالنيات

بقلم : أحمد طه نصر

روى الشيخان عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى . فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه) .

يشتمل هذا الحديث على أصل عظيم من أصول الاسلام التى عليها مداره . أصل يقرر حكمة الله فى خلق الانسان وابتلائه له فى هذه الحياة حيث يقول عز وجل «ليبلوكم أيكم أحسن عملا » أصل تتحقق به السعادة فى الدنيا والآخرة . وقد صدر به الامام البخارى رحمه الله كتابه الصحيح بيان ان كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فهو ضائع لا ثمرة له فى الحياة ولا فى الآخرة . ومن تعبير ائمة العلم قول الشافعى رحمه الله : « هذا الحديث ثلث العلم » أما الامام أحمد رحمه الله فيقول « أصول الاسلام على ثلاثة أحاديث . حديث عمر ، وحديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها المتفق عليه « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ، وحديث النعمان رضى الله عنه « الحلال بين والحرام بين » وقريب من ذلك قول الحاكم واسحاق بن راهويه وأبى داود .

ومن قول أحمد وابن جرير انه يجب على كل من عمل عملا من العبادات وغيرها أن يقدم قصده ونيته ، لظاهر العبارة « الأعمال بالنيات » بمعنى يعالج نفسه اذا أراد عملا حتى لا يريد به غير وجه الله . وانما لكل امرىء ما نوى ، وهو أن حظ العامل من عمله نيته . فان كانت صالحة فعمله صالح وله أجره . وان كانت فاسدة وغير صالحة فعمله ضائع وعليه وزره . لأنه لا ينفعه من عمله الا ما نواه واستهدفه .

والحق ان علماء السنة قد عنوا بهذا الحديث . وكثير منهم كان يبدأ به مؤلفه ، اشارة الى ما يجب أن يقوم عليه العمل . منهم الامام النووى والامام ابن رجب الحنبلى الذى افاض فى شرحه . والنية فى اللغة نوع من القصد والارادة . وهى تقع فى كلام العلماء بمعنى التمييز ، وايضا اخلاص القصد

للحصول علـــى ثواب الله والنجاة عنده . كما جاء فى كثير من الآيات « منكم من يريد الدنيـــا ومنكم من يريد الآخرة » ١٥٢ آل عمران . وقوله تعالى « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » ٦٧ الأنفال . وقوله « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » الآية ١٥ هود . وقوله « واصبر نفسك مـــع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه » ٢٨ الكهف . وقوله « ذلك خـــير للذين يريدون وجه الله » ٣٨ الروم . وعبـــر القـــرآن عنهـــا أيضا بلفظ الابتغاء . مثل قوله « الا ابتغـــاء وجه ربه الأعلى » ٢٠ الليل . وقوله « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله » ٢٦٥ البقرة . وقوله « وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله » ٢٧٢ البقرة . ومعنى ذلك أن الله خص بثوابه وأجره وقبوله من فعل الخير والبر والفرائض وسائر الأعمال ابتغاء مرضاته طاعة له وشكرا . لقوله تعالى « بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة .

والسنة أيضا ركزت على هـــذا المعنى . فقرة من حديث مسلم عمن هلك مع قوم وهـــو كاره . يقول صلى الله عليه وسلم « ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته » .

ويروى أحمد وابن ماجه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم « من كانت الدنيا همه فرق الله شمله وجعل فقره بين عينيه . ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له . ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمـــره وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة » .

وعند الشيخين عن سعد رضى الله عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم له « انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أثبت عليها حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك » وانما يتم ذلك بأمرين أحدهما أن يكـــون العمل فى ظاهره موافقا للسنة متابعا للنبى صلى الله عليه وسلم يقينا وهو ما تضمنه حديث مسلم « من عمل عملا ليس عليـــه أمرنا فهو رد » والثانى أن يكون فى سريرته لوجه الله عز وجل كما فى حديثنا . ولقوله تعالى « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » ٢ الملك بمعنى أخلصه وأصوبه . هـــذا ما أجمع عليه علماء الحديث وقالوا : ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا — اى موافقا للسنة — لم يقبل . واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل . حتى يكـــون صوابا خالصا . وقد أكد ذلك الكتاب الكريم « فمن كان يرجو لقاء ربـــه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـــدا » ١١٠ الكهف . كدعاء

عمر رضى الله عنـــه : اللهم اجعل عملى كلـــه صالحا واجعله لوجهك خالصا . ولا تجعل فيه لأحد شيئا .

ويستفاد أيضا من الحديث « فمن كانت هجرته الى الله ورســـوله . فهجرته الى الله ورسوله » وكون الأعمال بالنيات أن حظ العامل من عمله نيته من خير أو شر . وأصل الهجرة هجران بلد الشرك وأعماله ، والانتقال منه الى دار الاسلام ومجتمع المؤمنين . كما كان المهاجرون قبل فتح مكة يهاجرون منها الى المدينة ليدخلوا فى زمرة المؤمنين ويجاهدوا معهم . فمن هاجر حبا لله ورسوله ، ورغبة فى تعلم الاسلام واظهار دينه ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حيث يعجز عن ذلك فى دار الشرك .. فهذا هو المهاجر حقا . وكفاه شرفا وتوفيقا أن تحقق له ما أراده من هجرته .

ومن حديث آخر « والمهاجر من هجر ما نهى الله ورسوله عنـــه » ومن كانت هجرته لطلب دنيا يصيبها أو زوجة وغيرها فهجرته الى مـــا هاجر اليه . قد يكون فى قصده أمر مباح من زواج ومعاش . وقد يكون محرما كمن يترك بلده الى مجتمعات فاجرة كافرة لينغمس معهم . وقـــد روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) كانت المراة اذا أتت النبى صلى الله عليه وسلم حلفهـــا بالله مـــا خرجت من بغض زوج ، أو التماس دنيا ، أو رغبة بأرض عن أرض ، بل ما خرجت الا حبا لله ورسوله وايثارا لمرضاته سبحانه .

وسائر الأعمـــال كذلك صلاحها وفسادها بحسب النية الباعثة عليها كالجهاد والصدقـــة والحج والأمـــر بالمعروف وغير ذلك . وقـــد سئل النبى صلى الله عليـــه وسلم عن اختلاف الناس فى الجهاد من اظهار الشجاعة والعصبية وغيرها : أى ذلك فى سبيل الله . ؟ فقـــد روى الشيخان عن أبى موسى رضى الله عنـــه أن أعرابيا أتى النبى فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى مكانه . فمن قاتل فى سبيل الله ؟ فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) فأبطل فى هـــذا الحديث كل ما سألوا عنه من المقاصد الدنيوية .

كما روى النسائى أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أرايت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال (لا شىء . ان الله لا يقبل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه) .

وروى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم (ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به

فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت . قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال شجاع فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار . ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال ما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت القرآن فيك . قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت ليقال قارىء فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . فقال فما عملت فيها ؟ فقال ما تركت من سبيل تحبه أن ينفق فيه الا أنفقت فيها لك . قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد . فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار) .

كما ورد الوعيد على تعلم العلم لغير وجه الله — أعاذنا الله جميعا من ذلك — لحديث أحمد وابن ماجه وأبى داود (من تعلم العلم مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) كما ورد الوعيد على العمل لغير الله عموما لحديث أحمد (بشر هذه الأمة بالثناء والعز والرفعة والتمكين فى الأرض . فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب) والعمل لغير الله تارة يكون رياء محضا ، بحيث لا يراد به سوى المخلوقين ، كحال المنافقين فى صلاتهم ونفقاتهم ، لقوله تعالى (واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس) ١٤٢ النساء ، وقوله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من دياهم بطرا ورئاء الناس) ٤٧ الأنفال . وهذا الرياء — والعياذ بالله تعالى — لا يكون فى عمل مؤمن صادق أبدا ، لأنه حينئذ يكون حابطا ، وصاحبه يستحق المقت والعقوبة .

وأحيانا يكون العمل لله ويداخله الرياء . والنصوص تدل على بطلانه أيضا وحبوطه ، للحديث القدسى عند مسلم (أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه)وحديث أحمد والترمذى وابن ماجه قوله صلى الله عليه وسلم (اذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل . فان الله أغنى الشركاء عن الشرك) .

أما من كان قصده خالصا لله ثم كوفىء أو نال أجرا أو غنيمة غير متطلع اليها أساسا .. فان ذلك لا يحبط عمله وان نقص من أجره ، لحديث مسلم (ان الغزاة اذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثى أجرهم . فان لم يغنموا شيئا تم لهم أجرهم) .

وأيضا اذا عمل العمل لله خالصا ثم القى الله له الثناء الحسن فى قلوب المؤمنين — تفضلا من الله ورحمة — واستبشر بذلك لم يضره ، لحديث مسلم أن النبى صلى الله

عليه وسلم سئل عن الرجل يعمل العمل لله من الخير يحمده الناس عليه ؟ فقال : تلك عاجل بشرى المؤمن) ورواية (فيحبه الناس عليه) مع دفع أى خاطرة تمر به — تقية بالله — ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) ٢٠١ الاعراف . وانه لمعنى دقيق . وقد روى ابن أبى الدنيا عن سفيان الثورى قال (ما عالجت شيئا أشد على من نيتى لأنها تنقلب على) وفقرة من حديث تفيد ذلك وأكثر (الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله، واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) وكذلك لو قصد العمل لله وأن يبين للناس تعليما . . كقو لالنبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع « خذوا عنى مناسككم » وتعليم الوضوء مع رفع الحدث للعبادة ، وامامة الصلاة « صلوا كما رأيتمونى أصلى » كل ذلك على أصله خالص لله .

وبعد ذلك كله نعود لما ذكره الفقهاء من أن النية أيضا هى التمييز بين العبادات والعادات . فمثلا الامساك عن الأكل والشرب يقع تارة حمية وعلاجا ، ومرة لعدم القدرة على الطعام ، وأخرى من أجل عبادة الصوم الذى هو امتثال ايمانى من أجل مرضاة الله . يتميز بذلك رغم اشتراكه فى معنى الامساك .

وكذلك الصدقة تكون نفلا وبذلا وعونا وتكون فرضا : زكاة وكفارة . كل ذلك يتميز بالنية . وفى كتب الفقه كثير من هذه الشروح . حتى فى فسخ النية من فرض الى نفل كمن أعطى صدقة فوقعت لغير من أراد ، لما روى البخارى أن رجلا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان قد وضع صدقته عند رجل فجاء ولد صاحب الصدقة فأخذها ممن هى عنده . فعلم بذلك أبوه فخاصمه الى النبى فقال ما اياك أردت . فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمتصدق لك ما نويت . وقال للآخر لك ما أخذت) وحتى فى مسائل الأيمان ، فلغو اليمين لا كفارة فيه — وهو ما جرى على اللسان من غير قصد بالقلب . وانما يأتى عفوا اثناء الكلام لا والله وبلى والله — لقوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) ٢٢٥ البقرة .

والنية هى قصد القلب ولا يجب التلفظ بها . وقد نص مالك رحمه الله على ذلك مستندا الى قول ابن عمر رضى الله عنهما : أو ليس الله يعلم ما فى نفسك ؟

وختاما ماذا عن معرفة حق الله وحده فى العبودية الخالصة ، وتمييز ذلك افرادا له سبحانه بالرغبة والرهبة والأمل والرجاء والحب والتعظيم . والقلب الذى يثبت على هذا الايمان يكتب الله له الهداية والسلامة (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) والله ولى التوفيق .

أحمد طه نصر

رغم المجاعة فى أفريقيا

المجاعة فى أفريقيا .. تتوالى أخبارها كل يوم . ومما نشرته الصحف عن هذه المجاعة أن المئات من الأثيوبيين يموتون جوعا كل يوم . فرغم أن عدة دول سارعت الى تقديم الاعانات الغذائية الى هؤلاء الضحايا الا أن وسائل النقل لا تتمكن من الوصول بالأغذية الى المناطق التى يعانى فيها الجوعى من الافتقار الشديد الى الغذاء .

وتقول بعض التقارير الواردة من شمال أثيوبيا ان آلاف الجوعى يسيرون مسافات شاسعة على أقدامهم الى مراكز الغوث للحصول على الطعام ، بعضهم يحملون زوجاتهم أو أطفالهم بعد أن فقدوا القدرة على المسير ، وسقط البعض على جانبى الطريق فى انتظار الموت .

وبدأت هيئة الأمم المتحدة تتحرك لانقاذهم من هذه المجاعة فماذا ستفعل ؟

لقد أذيع أن الأمم المتحدة تنوى انفاق حوالى ٧٣ مليون دولار فى أثيوبيا .. ليس من أجل انقاذ ضحايا المجاعة أو تقديم اعانات عاجلة أو حتى المشاركة فى خطط التنمية طويلة المدى ... ولكن لانشاء مركز مؤتمرات جديد تابع لها ... حيث يمكن لموظفيها أن يناقشوا مسائل التنمية والمجاعات والاعانات فى جو مريح مكيف الهواء .

ورغم أن هذا يبدو تبذيراً واضحا فى أموال المنظمة الدولية الا أنه لم يعترض عى اقتراح انشاء المركز سوى ثلاث دول يعمل دبلوماسيوها بكل جهدهم لاقناع السكرتير العام للأمم المتحدة بعدم تنفيذ الاقتراح . ولكن يبدو أن فرص نجاحهم فى ذلك ضئيلة .

حرية الإنسان بين الدين والقانون

بقلم : أحمد لطفى السيد

أرسل الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للناس كافة وليكون للعالمين نذيرا وبشيرا وهاديا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا . . وقد شاءت ارادة الحق تبارك وتعالى أن يكون ما جاء به الاسلام هو هدى الله التام ، ونعمته الكاملة . فأتى مكملا ومتمما لكل ما جاء قبله من رسالات السماء ، ليكون الدخول فى دين الله ممثلا لتمام نعمة الله على عباده . قال جل شأنه « بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » وقال تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »

ولما كان الاسلام هو دين الله التام ونعمته الكاملة لم يشأ الحق سبحانه وتعالى أن يكره أحد على الدخول فيه ، لأن الاكراه يتنافى مع جوهر الاسلام . فالخير لا يكره عليه انسان . والنعمة لا يحمل عليها أحد . قال جل ثناؤه « لا اكراه فى الدين »

لقد ألقى الاسلام الضوء المبهر على حقائق الحياة . ثم ترك للانسان أن يأخذ فى أسباب الهداية دون جبر أو اكراه . قال تعالى « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »

ان حرية العقيدة كانت الراية التى رفعها الاسلام أينما ذهب . وظلت هذه الراية مرفوعة عالية . وستظل كذلك الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومع كل هذا يقيم الاسلام دعائمه على أروع المبادىء والأحكام فينهى أتباعه عن الظلم ويأمرهم بالعدل ، حتى لو كان ضد أنفسهم ، وحتى فى معاملة أهل الكتاب • ويأمر بالرحمة حتى مع الأعداء • قال تعالى « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن » وقال تعالى « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »

أليس الاسلام هو صاحب تشريع المساواة ، وتكريم الانسان حيث جعل احترام حقوق الانسان فريضة على المسلمين حكاما ومحكومين • قال تعالى « ولقد كرمنا بنى آدم » وصدق الله العظيم « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال تعالى « انما المؤمنون اخوة »

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الناس سواسية كأسنان المشط »

هذه حرية العقيدة • اما حرية الرأى فتبدو واضحة فى مواقف شتى مع النبى صلى الله عليه وسلم • فكثيرا ما كان يقول لصحابته رضوان الله عليهم « أيها الناس أشيروا على » وعلى سبيل المثال : فى موضوع أسرى بدر مال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رأى أبى بكر الذى كان يرى أن تقبل منهم الفدية بينما كان عمر يرى قتل الأسرى بسبب اضطهادهم للمسلمين عندما كانوا فى مكة • ثم نزل الوحى مؤيدا رأى عمر فى قوله تعالى « ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض • تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم »

ولقد أباح الاسلام حرية مناقشة الرسول نفسه ومجادلته ومحاورته • وهذه امرأه من نساء المسلمين نزل فى شأنها قول الله تعالى « قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير »

ومن ذلك يتبين أن الاسلام قد سبق الى تقرير هذه الحريات قبل أن تظهر هذه « الديمقراطيات » الحديثة فى عالم الوجود •

حرية فى الرأى والتفكير ، وحرية فى الجدل والمناقشة ، واعتراف بالحق ، وتمسك به • فاذا ظهر فى الشرق أو الغرب من ينادون ويدعون العدالة السياسية أو العدالة الاجتماعية وما الى ذلك أو أنهم استحدثوا مبدأ أو نظرية تتسم أو تتصل بالعدالة فانا نقول لهم : ما أيسر الدعاوى النظرية ! والمذاهب الوضعية كلها تنادى وترفع راية العدالة، ولكن التطبيق العملى يكذب ما يدعون ويكشف ما يبيتون • أما عدالة الاسلام فقد طبقها سلفنا الصالح وكل المؤمنين بهذا الدين على مر العصور استجابة لله عز وجل • وصدق الله العظيم « وأمرت لأعدل بينكم • الله ربنا وربكم » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثال العدل كما أمره الله ، فى بيته وأسرته ومجتمعه المسلم • وربى معه ومن بعده أمة يعملون بالعدل • ويأمرون به • قال تعالى « الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب » ولا حكم بعد حكم الله يصلح الدنيا والآخرة • ولا تبديل لكلماته • قال تعالى « وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم »

أحمد لطفى السيد
المستشار القانونى لمركز السنبلاوين

من ديوان الايمـــان :

الصبر

بقلم : علي عيد

لا شك ان للصبر صلـــة وطيدة بالايمان .. فانه لا يتحقق الا عن ايمان .. !

والصبر الايمانى هو ما كان لوجه الله تعـــالى ، وهـــو صبر أولى الالباب : « الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون ســـوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجـــه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويدرءون بالحســـنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار » .. !

وان وجود الصبر فى القلب نعمة من أجل النعم الربانية ، التى يرحم الله بها عباده . فهـــو يأتى بردا وسلاما يأســـو الجراح ، ويرطب النفس ، ويغســـل الأحزان . وان الله سبحانه ليغدق على الصابرين — وهو أعلم بهم — ويفيض عليهم بغير حساب : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » ، « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا » ، « نعم أجـــر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » ..

وللصبر وجهان يظهر فيهما . . كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اعلم أن الصبر صبران ، أحدهما أفضل من الآخر . الصبر فى المصيبات حسن ، وأفضل منـــه الصبر عما حرم الله تعالى .. واعلم أن الصبر ملاك الايمان ، وذلك بأن التقـــوى أفضل البـــر ، والتقوى بالصبر » ونفهم من قول أمير المؤمنين رضى الله عنه أن الصبر على الأمر والنهى أفضل من الصبر على النوازل والمصائب .. ذلك أن الأمر والنهى غالبا ما يكون مخالفا لهوى النفس ، فلا بد من صبر يوازى مشقة النفس وتظاهرها .. والأمر والنهى هما : الأمر بالطاعة ، والنهى عن المعصية ، فالأمر بالطاعـــة يستلزم من العبد الصبر عليها ، فيأتى بها على شروطها فيتقنها ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويصبر على اخلاصه لله ، وعلـــى بعده عن الرياء والتكلف ، ويصبر على صفاء النية ونقائها ، لأن الأعمال منوطة بنية العامل .

والنهى أيضـــا عن المعصيـــة ، يستلزم الصبر عنها ، اذ انه ما من أمر نهى الشارع عنه ، الا وقد زينه الشيطان للنفس وحببه اليها ، ولو رفع الصبر لوقعت النفس فريســـة لهـــذا التزيين والاغواء ، ولانتصر الشيطان على الايمان . ولقد صور لنا الرسول الكريم صلى الله عليه

وسلم ، هذا المعنى بقوله : « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » اى ان طالب الجنة لا يستغنى عن الصبر على الطاعة وعمل الصالحات ، وعلى الخائف من النار أن يصبر عن الشهوات ويجاهد نفسه وهواه . .

ولا شك أن تحمل الأذى فى سبيل الله والصبر عليه ، هو دأب الصديقين والشهداء ،وسبيل الأنبياء والمرسلين، وان الأمم لا تبنىأعمدتها،والحضارات لا ترتفع صروحها الا بالصبر . . فطالما صبر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار على ما نالوا من أذى ، وما صادفهم من عنت ، وما لحقهم من ضر ابان ظهور الدعوة الرشيدة ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وهم مستضيئون بالصبر مستصحبون له ، حتى كانت الحضارة ، وكان الفتح الربانى ، وكانت الأمة التى اظلت البشرية بنورها وخيرها ، وصدق على ابن أبى طالب حين قال : « خير عيش أدركناه بالصبر » وصدق عمر بن الخطاب حين قال : « الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا ينبو » وقال الشاعر :

وقل من جد فى أمر يؤمله
واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وانه لمن أوجب الواجبات على المسلمين فى يومنا هذا ، أن يعيدوا دراسة مجدهم التليد ، ويتفحصوا ذلك الماضى بنور بصائرهم ، فيأخذوا العبرة لحاضرهم ، وكيف أن القليل المستضعف ، يسود العالم المتحضر آنذاك . وهذا قول الحق تبارك وتعالى يذكرهم بما كانوا عليه : « واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » فلا بد أن تكون اللبنة الأولى فى كيان الأمة الاسلامية ، على سمات وخلائق معينة ومتميزة ، تستعلى على المشاق ، وتبذل كل غال فى سبيل غايتها ، وتعشق الصبر على المكاره، وصدق شوقى فى قوله :

هل كان حول محمد من قومه
الا صبى واحد ونساء
فدعا فلبى فى القبائل عصبة
مستضعفون قلائل انضاء
ردوا ببأس العزم عنه من الأذى
ما لا ترد الصخرة الصماء

ولقد تعلموا من ربهم أن سنة المرسلين والدعاة ، أن يضطهدوا ويبتلوا ويعذبوا ، غير أنهم يصبرون حتى ينالوا ما يهدفون اليه ، فقال عز وجل : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله » . .

فحرى بالمسلمين اليوم أن ينهجوا ذلك النهج الربانى لأوليائه واصفيائه، فليست المغانم والمكاسب الدنيوية تنال بلا جهد وكفاح واعداد ، فكيف بمن يطلبون الجنة واعلاء كلمة الله

فوق هام الوجود ، واقامة ملكوته على الأرض ، وعظم الجزاء تبع لعظم العمل ، ولأن وعد الله سبحانه وتعالى للمؤمنين واضح وصريح : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » واذا كان واقعنا اليوم والمذابح الطاحنة التى تدور رحاها على رقاب المسلمين فى كل مكان تبعث على اليأس ، فانه لا ييئس من روح الله الا القوم الكافرون ، وما علينا الا ان نحدد الأهداف وننظم الصفوف ونصحح الرابطة بيننا وبين الله ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ففى الحديث الصحيح : « ليبلغن هذا الأمر ما بلغه الليل ، ولا يترك بيت حجر ولا وبر الا ويدخله هذا الدين ، يعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز به الله الاسلام ، وذلا يذل به الله الكفر » ..

اذن فالمستقبل للاسلام ، والغلبة للاسلام ، والحاكمية للاسلام ، غير أن ذلك يحتاج جيلا صلبا جلدا يستطيع بصبره وجلده وجهاده أن يعيد موازين الحياة الى أصولها ومعاييرها الايمانية ، وان تكون كلمة الله هى العليا باذن الله ، وتكون كافة الفلسفات والنظريات الملحدة والكافرة هى السفلى .. !

بقى القسم الثانى من الصبر ، وهو الصبر على النوازل ..

وهو كما قلنا من لطف الله بعباده المؤمنين ، الذين يؤمنون بحكمة الله فى فعله ، وكماله فى ارادته ، ولهذا صبروا ابتغاء وجهه ، راضين بحكمه .. وان هذا الصبر لينفرد به المؤمنون خاصة ، فهو شيمتهم ، وهو مطيتهم ، وهو عصامهم ، لأن دنياهم هى دار البلاء والاختبار ، وآخرتهم هى دار الجزاء والثواب ، وقد وعدهم الله فأجزل لهم الثواب : « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ..

انظر الى قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد الا المؤمن ، ان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وان أصابته سراء شكر فكان خيرا له » .. فكان الايمان أساسا لشكره عند سرائه ، وصبره عند بلائه ، فليس بعد ذلك اذن الا الخير ، وجزيل الثواب .. !

وعلى قدر ايمان المرء يكون تحمله ويكون صبره . وعلى مقدار هذا الصبر ينزل البلاء . وهذا من فضل الله ورحمته بعباده ، فقد روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل : أى الناس اشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وان كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة » .. ارأيت فضل الله سبحانه وتعالى ، حيث جعل البلاء ثمنا للمغفرة والرحمة ، شريطة أن يقابل بالصبر الصحيح ، وهنا يجزل

الله له الأجر العظيم والثواب الكبير، وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه قوله : « الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه . صبر على فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . وانما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهى من الفرائض ، لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه الا الأنبياء وأتباعهم باحسان ، لأنه بضاعة الصديقين والأولياء .. !

وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوضه عنها الصبر ، الا ما كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه . وقرأ « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» . وروى مسلم عن أم سلمة رضى الله عنها قولها قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى (انا لله وانا اليه راجعون) اللهم أؤجرنى فى مصيبتى وأعقبنى خيرا منها الا فعل الله به ذلك » .. وروى أيضا قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء ، وان الله تعالى اذا أحب قوما ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط » .. وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله عز وجل قال : اذا ابتليت عبدى بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة » .. يريد عينيه ..

وهكذا فليس المؤمن من يجزع لقضاء الله وارادته ، ولكن المؤمن هو الصابر المحتسب ، المأجور من الله جزاء بما صبر ، لأن ايمانه اقتضى منه فى البلاء والسراء جميعا ، أن يسلم قياده لله الواحد ، مالك الملك ، المتصرف بحكمته وعدله ، فلن يحزن أو يجزع أو يهلع ، ولكنه سيصبر ويحمد الله ويسترجع ، وسوف يحتسب أجر صبره عند ربه، الذى يعلم صبره ، ويعلم احتسابه ، فقد محص قلبه وابتلى فؤاده ، فوجد نبعا فياضا ، من الرضا والصبر والتسليم المطلق لرب البرية سبحانه وتعالى ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تعالى : ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة » .. وقول الحق تبارك وتعالى : « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين » .. وهكذا يكون الصبر، منجاة للمؤمن من النار ، ومطيته الى الجنة ، وضياءه فى الدنيا ، وأنيسه فى جماعته ، ورفيقه فى قبره .. اللهم الهمنا الصبر ، تقوى به قلوبنا ، وتدرك به آمالنا ، وافتح علينا من أبواب رحمتك ولطفك يا أرحم الراحمين .

على عيد

رئيس الشبان المسلمين بسرس الليان